وقولهِ(١٥٨) وهو مسك الختام (من الكامل).:

والنـاسُ هَمُّهُمُ الحيـاةُ ولا أرى طولَ الحيـاةِ يزيدُ غيرَ خبـال
واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

فتكتفي بهذا القليل علَّهُ يبعث في قلوب القرَّاء الرغبـة لدرس شعر الاخطل ومعرفـة خواصهِ ولاسيَّما انَّ حضرة متوَلّي طبعه قد قرَّبهُ منهم بتوفير الاسبـاب لاقتباس منافعهِ الجمَّة

(لها بقية)

منتخب الغافقي (١

ونصّ تعليقَيْن بآخرهِ في الفِرَق الاسلاميَّة

لتوفيق افندي اسكاريوس بدار الكتب المصريَّة

كتب حضرة الطَّلع يوسف اليان افندي سركيس في مقتطف شهر مارس سنة ١٩٢١ ،قالًا يُعلم القرَّاء فيهِ بوجود نسخة مخطوطة قديمة من مختصَر للادوية المفردة جَمْع ابي جعفر احمـد بن مشيد الغافقي(الطبيب الاندلسي المتوفى سنة ٥٦٠ هجرية ١١٦٥م.)

وقد ظهر ان للغافقي المذكور من المخطوطات في دور كتب اوربا (٢ ما يأتي :

١) راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (طبع مصر ٢ : ٥٣) وفي كتاب تراجم اطباء العرب لوستنفلد الالماني (WUESTENFELD : Arabische Aerzte (p. 176 ومن تاريخ الطب العربي لمسيو لوكلرك الفرنسي LE CLERC : Histoire de la Médecine arabe, II, 79

٢) اطلب الجزء الاول من تاريخ الاداب العربيَّة لبروكلمان الالماني صفحة ٤٨٨ BROCKELMANN: Geschichte der arab. Litteratur, 1,488

(اولاً) الادوية المفردة وهذا المخطوط المفقود هو الذي كان اختصره الطبيب المشهور ابو الفرج بن العبري المعروف عند الافرنج باسم Abulfaragius واختير فيما بعد لأن يكون « مفريانًا على الشرق» (١ وتوفي لرحمته تعالى سنة ٦٨٥ه(١٢٨٦م) والمختصر هذا هو المدون بمنتخب النافقي وجده سركيس افندي في تركة المرحوم اقلوديوس بك لبيب العالم القبطي بعين شمس بمصر واشتراه سعادة احمد تيمور باشا واذ لم تكن منه نسخة بدار الكتب المصرية طلبتُ منهُ نقل صورة منها فتفضَّل باعارتها وقد تمَّ ذلك فاستحقَّ سعادته لفضله وافر الشكر. ودونك عنوان المخطوط: «منتخب النافقي (٢ من الادوية المفردة انتخاب الاب غريغوريوس مفريان الشرق» اوله بعد البسملة: قال ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد النافقي... وهي نسخة مكتوبة بقلم عادي في اواخر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٤ه (٣ فيها ١٤٦ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرًا وقد رُوجعت نسخة دار الكتب بالدقة على الاصل وحُفظت تحت نمرة ١٠٣٢

(ثانياً) رسالة في الحيَّات والاورام في عشرين ورقة محفوظة بمكتبة بودليانا باكسفورد (Bibliotheca Bodleiana I, 632)

(ثالثاً) رسالة في دفع المضارّ الكلية للأبدان الانسانيَّة (٤ وقد وقفتُ في آخر منتخب النافقي المنسوخة في دار الكتب على صورة تعليقين فاحببت ان انقلهما للقراء اتماماً للفائدة لان مقال حضرة اليان افندي سركيس لم يشر اليهما. قال رحمه الله:

---

١) اطلب ترجمة وتآليف ابي الفرج بن العبري للاب لويس شيخو المطبوعة سنة ١٨٩٨

٢) توجد نسخة اخرى مخطوطة من منتخب النافقي في مكتبة غوتا ورد ذكرها في الجزء الرابع من فهرستها بصفحتي ٣٣-٣٤ تحت رقم ٩٩٩٨ Gotha: arabische Handschriften, IV ويقول تعليقاً انهُ يوجد مختصر آخر غير مختصر الاب غريغوريوس ابن العبري انتخاب احمد بن علي بن ابراهيم ابن ابي جنوري الاحسائي سماه الحكمة والرحمة في الطب في ٦٩٣ ورقة غير سبع ورقات للفهرس بقلم نسخ ومسطرة الصفحة ١٥ فرغ من كتابتها الناسخ لها جبرائيل بن يعقوب المعروف بالمنير الماروني الحلبي بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٦٩٤

٣) فهي اذن مكتوبة سنةً قبل وفاة ابن العبري

٤) يراجع الجزء الاول من فهرس اوكسفرد صحيفة ٦٣٢ نمره ٣,٢,١ باللاتينية وفيه التعريف الكافي الوافي

تعليق مبارك (في الفرَق الاسلاميَّة)

« قد وقع في الاسلام اختلافات كثيرة كما وقع في غيره من الاديان بعضها في الاصول وهي موضوع علم الكلام وبعضها من الفروع وهي موضوع علم الفقه . والاختلافات في الاصول منحصرة في اربع قواعد: الاولى في الصفات والتوحيد . والثانية في القضاء والقدَر . والثالثة في الوعد والوعيد . والرابعة في النبوة والإمامة . وكبار فرق الاصوليين ستَّة: المعتزلة والصِفاتيَّة وهما متقابلتان تقابُل التضادّ . وكذلك القَدَريَّة تضادّ الجَبْريَّة . والمُرجئة للوعيدة . والشيعة للخوارج . وتتشعَّب من كل فرقة اصناف فتصل الى ثلاث وتسعين فرقة

فصل في فرق الاصوليين

« لمَّا ﴿المعتزلة﴾ فالذي يفرزهم من الاعتقاد القول بنفي الصفات القديمة عن ذات البارئ تعبّداً من اقانيم النصارى فمنهم من قال انه عالم بذاته لا بعلم وكذلك قادر وحيّ . ومنهم من قال انهُ عالمٌ بعلمٍ هو ذاتهُ وكذلك قادر وحيّ . فالاوّل نفي الصفة رأساً والثاني اثبات صفةٍ هي بعينها ذات . واتّفقوا على انَّ كلام البارئ تعالى مُحدَث يخلقهِ من محلّ وهو حرفٌ وصوتٌ كُتب امثالهُ في المصاحف . وبالجملة نفيُ الصفات مقتبَس من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته تعالى واحدة لا كثرة فيها موجبة

« ومن المُعتزلة احمد بن حائط زعم ان المسيح تدرَّع بالجسد الجسمانيّ وهو الكلمة القديمة المتجسّدة كما يقول النصارى . ومن المعتزلة عيسى الملقب بالمزدار بلغ بالقول بخلق القرآن وان العرب كانوا قادرين على مثلهِ فصاحةً وبلاغةً لولا أن مُنعوا عن الاهتمام بمثلهِ

« وبازاء المعتزلة ﴿الصِفاتيَّة﴾ وهم ينسبون الى الله تعالى صفاتٍ ازليَّة من العلم والقدرة والحيوة وغيرها . وبلغ بعضهم في اثبات الصفات كالسمع والبصر والكلام الى حدّ التجسيم فقال لابد من إجراء الآيات الدالّة عليها كالاستواء على العرش والخَلق باليد وغيرهما على ظاهرها من غير تعرُّض للتأويل . الّا انّ قوماً منهم كابي حسن الاشعريّ وغيره لمّا باشروا علم الكلام منعوا التشبيه وصار ذلك مذهباً لاهل السُنّة والجماعة وانتقلت سمة الصفات الى الاشعرية

« فاما ﴿القدَريَّة﴾ فهم معتزلة ايضاً فانما لُقبوا بالقَدَرية لنفيهم القدَر لا لإثباتهم

أياه فانهم يقولون ان العبد قادرٌ خالقٌ لأفعاله خيرها وشرّها مستحقّ على ما يفعله ثواباً وعقاباً والرب تعالى منزّه عن ان يضاف اليه شرّ وظلم وسمّوا هذا النمط عدلاً وحدّوه بانه إصدار الفعل على وجه الصواب فالمصلحة بمقتضى العقل والحكمة

«وبازاء القَدَرية ﴿الجَبرية﴾ الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ويقولون انَّ الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان قدرةً متعلّقةً بذلك الفعل ولا تأثير لتلك القدرة في ذلك الفعل . ومنهم من يثبت للعبد قدرةً ذات تأثير ما في الفعل ويقولون ان الله مالكٌ في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ولا يُسأل عمّا يفعل فلو أدخل الخلائق باجمعهم الى الجنّة لم يكُن حَيفاً ولو أدخلهم باجمعهم النار لم يكن جَوْرا بل هو في كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرّف فيما يملكهُ المتصرّف بهِ (١

«واما ﴿المُرجئة﴾ فهم يقولون بإرْجاء حُكم صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة اي يتأخّر انيا فلا يقضون عليهِ بحكم في الدنيا من كونه ناجياً او هالكاً . ويقولون بانهُ لا يضرُّ مع الايمان معصيةٌ وكما لا ينفع مع الكفر ايمان(٢

«وبازاء المُرجئية ﴿الوعيدة﴾ القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار وان كان مؤمناً لكن يكون عقابه اخفّ من عقاب الكفّار

«واما ﴿الشيعة﴾ فهم الذين شايعوا عليَّ بن ابي طالب فقالوا بإمامته بعد النبي عليهِ الصلاة والسلام عليهم وان الامامة لا تخرج من اولاده ويجمعهم القول بثبوت عصمة الايمّة وجوباً عن الكبائر والصغائر وان الامامة ركن من اركان الدين لا يجوز للنبي اغفالهُ ولا تفويضهُ الى العامة

«ومن غُلاة الشيعة ﴿النُّصَيرية﴾ القائلون ان الله تعالى ظهر بصورة علي ونطق بلسانه مخبراً عمّا يتعلّق بباطن الاسرار وقوم غَلَوا في حقّ ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الالهية

«وبازاء الشيعة ﴿الخوارج﴾ منهم من خطّأ عليَّ بن ابي طالب فيما تصرّف فيهِ ومنهم من تخطّى عن تخطئتهِ الى تكفيرهِ . ومنهم من جوّز ان لا يكون في العالم

---

١) انَّ هذا القول يجعل الله عزّ وجلّ ظالماً اذ يلقي بخلقهِ دون ذنب منهم في عذابات الجحيم وحاشا الله ان يفعل ذلك (المشرق)

٢) الايمان الصحيح لا يقوم الّا بالعمل الصالح والطاعة لاوامر الله (المشرق)

إماماً اصلًا وان احتجّ اليه فيجوز ان يكون عبدًا او حرًّا او نَبطيًّا او قُرَشيًّا اذا كان عادلًا فان عدَل عن الحقّ وجب عزلهُ وقتلهُ. فهذا اقتصاص مذاهب الأصوليين على سبيل الاختصار

فصل في الفروعيين

امَّا مذاهب ﴿الفروعيين﴾ المختلفين في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهور منها اربعة : مذهب مالك بن انس ومذهب محمد بن إدريس الشافعيّ ومذهب احمد بن حنبل ومذهب ابي حنيفة النعمان بن ثابت

﴿واركان الاجتهاد﴾ ايضاً اربعة الكتاب والسنّة والإجماع والقياس وذلك لانه اذا وقعت حادثة شرعية من حلال وحرام فَزِعوا الى الاجتهاد وابتدأوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيهِ نصًّا تمسّكوا بهِ والّا فزعوا الى سنّة النبيّ عليه السلام فان رأوا لهم في ذلك خبرًا نزلوا على حكمهِ والّا فزعوا الى اجماع الصحابة المعتنى بهِ لانهم راشدون لا يجتمعون على ضلالهِ فان عثروا بما يناسب مطلبهم اجرَوا الحكم الحادث على مقتضاهُ والّا فزعوا الى القياس لان الحوادث والوقائع غير متناهية والنصوص متناهية فلا يتطابقان فعُلِمَ قطعاً ان القياس من واجب الاعتبار ليكون بصدد كل حادثة شرعية اجتهاد وقياس

«ومن الائمة داؤد الاصفهاني نفى القياس اصلًا وابو حنيفة شديد العناية بهِ وربما قدّم القياس الجليّ على آحاد الاخبار ومالكٌ والشافعيّ وابن حنبل لا يرجعون الى القياس الجليّ ولا الخفي ما وجدوا خبرًا او اثرًا وبينهم اختلافات في الاحكام ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات ولا يلزم بذلك تكفير ولا تضليل والله اعلم» اه بحروفه

تعليق مبارك (في ماني)

«في زمن اورلينوس قيصر عُرف ماني الثنويّ وقد كان اولًا يُظهر النصرانية فصار قسيساً بالاهواز وكان يعلّم ويفتر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين ثمّ مرَق من الدين وسمّى اسمه مسيحاً واتخذ اثني عشر تلميذًا وارسلهم الى بلاد

المشرق بأسرها حتى الهند والصين وزرعوا فيها علم الثنويّة وهو ان للعالم الهين احدهما خير وهو معدن النور والآخر شرّ وهو معدن الظلمة وانهما تهارجا فانتصر الخير على الشرّ فانتقل الى جهة القبلة ليعمل له هناك عالماً يتسلّط عليه . فلما شرع وعمل بنات نعش حول القطب الجنوبي كهذه الذي (التي) حول القطب الشمالي اصلحت الملائكة بينهما بان القى الخير شيئاً من نوره على الهيولي فأوجد عالماً قابلاً للكون والفساد وتسلّط عليه الشرّ ولان الخير انما فعل ذلك مجبراً ومكرهاً عأق في السماء سفينتين كبيرتين هما الشمس والقمر وصار يجمع فيهما انفس الناس ويسترجع نصفه الذي صار الى الشرّ ليجلو الهيولي رويداً رويداً من اثار الخير فيبطل سلطان الشرّ . وكان يقول بالتناسخ وانّ في كل شيء روحاً منتسخة . وكان يفرط في تمجيد النار ويعظّم شأنها ويؤهلها للتقديس والتسبيح كل ذلك لنورها وإضاءتها وتوسّطها في المكان بين الفلكيّات والعنصريّات واهل الارض المنخفضة لكونها مظلمة لا يستضيء باطنها لا بالفعل ولا بالقوة

«وهذا المذهب قد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني لكن سدّده بالحجج وقيل ان ملك الفرس قتل ماني وسلخ جلدهُ وحشاه تبناً وصلبه على سور المدينة لانه كان يدّعي الدعاوى العظام وعجز ابراءهُ (كذا) من مرض له والله اعلم» اه بحروفه

وكما استنسخت دار الكتب المصريّة منتخب الفافقي للمغريان العالم الجليل غريغوريوس فانها تسعى لنقل مثيله من مكتبة غوثا والمختصر الآخر ورسالتيه السابق ذكرهما بمكتبة البودليانا تصويراً شمسيًّا احياء لاهل العلم وذكرى لاولي الفضل

عاملٌ نشيط في كرم الربّ

الاب ادوار ميشال اليسوعي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ١٩ آب الماضي دعا الله الى ثواب الابرار احد ابناء الرهبانيّة اليسوعيّة الذي

خلف في القطرين السوريّ والمصري ذكرًا طيبًا سيبقى مطبوعاً في قارب كلّ من عرفهُ وعاين اعمالهُ نعني به الاب ادوار ميشال انتقل من هذه الحياة في مدينة القاهرة في الرابعة والستين من عمرهِ قضى منها في خدمة القريب ولاسيما الفقراء والاحداث نيفًا وثلثين سنةً . فكانت لوفاتهِ رنّة حزنٍ عميقة في صدور الباقين الذين تقاطروا الى إقرانهِ الوداع الاخير ومشوا في جنازتهِ آسفين مُعولين مردّدين باصوات تُقاطعها الزفرات انّهم فقدوا سندهم واعزّ اصدقائهم

فتعزيةً لقلوب هؤلاء الباقين وصيانةً لذكر الرجل الصالح عوّلنا على تدوين خلاصة سيرتهِ وقد عرفهُ كاتب هذه الاسطر منذ نعومة اظفارهِ فأمكنهُ ان يخبر بنفسهِ ما خصّهُ الله بهِ من المزايا الحسنة والخلال الطيّبة

١ الولد والدارس

أبصر المرحوم الاب ادوار ميشال النور في اللاذقيّة في ٧ تشرين الاوّل من السنة المشئومة ١٨٦٠ بينما كان نصارى دمشق ولبنان غائصين في بحر من الاحزان لِما وقع فيهما من المجازر والاعمال الهمجيّة . وكان ابو المولود فرنسويّ الاصل نزيل اللاذقيّة يتعاطى فيها الاعمال التجاريّة مع وطنهِ ويُعنى باستغلال املاك لهُ هناك . فاقترن بفتاة سوريّة رزقهُ الله منها ابنهُ هذا جامعاً لمزايا الفرنسويين والسوريين معاً . وقد دعَواهُ ادوار باسم ملك انكلترّة القديس اذ تمّت حفلة عمادهِ في ١٣ ت١ الواقع فيهِ عيد هذا الملك العظيم وذلك في كنيسة الآباء الفرنسيسيين في اللاذقيّة

نشأ الولد في حجر والدَيه وكان كلاهما من اهل التقى والصلاح فاخذ عنهما روح الورع وشواعر الدين وامتاز بنشاطهِ ومحبّتهِ لوالديهِ وحسن سلوكهِ بين احداث الجالية الفرنسوية في اللاذقيّة كأُسرتي جوفروا ولانوس . فلمّا بلغ الثامنة من عمرهِ اتى بهِ ابوهُ الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير سنة ١٨٦٨ فما لبث ان جذب اليه قلوب رفاقهِ بلطفهِ وتقاهُ وحبّهِ للرياضات البدنيّة التي برع فيها وكنّا حينئذٍ في صفّ الصغار معهُ فنذكرهُ اذ كان يتولّى تدبير الالعاب ونظامها فيتقدّم الجميع في مراعاة قوانينها وتحريك همم رفاقهِ على الفوز في سباقها . وفي غضون العام المذكور تقرّب للمناولة الاولى فأثّر فيهِ هذا السرّ تأثيرًا عجيباً لم يبرح من ذهنهِ طول حياتهِ

. وكان ادوار محبًّا للفنون الجميلة ولاسيَّما الموسيقى فكان احد اعضاء الجوقة الموسيقيَّة ونزل الى بيروت مع رصفائهِ لمَّا وُضع الحجر الاوَّل لكليَّة القديس يوسف في اوائل سنة ١٨٧٣ . أمَّا الدروس فكان ادوار متوسِّطاً فيها يجهد نفسهُ في تحصيل العلوم الثانويَّة فنال منها حاجتهُ حتى انتهاها في السنة ١٨٧٨ في بيروت بعد ان نُقلت اليها مدرسة غزير في خريف سنة ١٨٧٥ . وكان في كلّ مدَّة دروسهِ مثال التقوى والاجتهاد حتى وقع عليهِ غير مرَّة اختيار التلامذة رفاقهِ كرئيس للاخويَّة وكالمستحقّ لجائزة كمال حسن السلوك . وكان اذا رأى بين اترابهِ ولدًا مخالفاً للقوانين لا يخاف من تبكيتهِ ولمَّا وجد يوماً واحدًا منهم شكَّك رفقتهُ بعمل مخلّ للآداب صفعهُ بمجلس زاجرًا واستحقَّ بفعلهِ ثناء معلميهِ

وفي تلك الأثناء شعر ادوار بانَّ الله يدعوهُ الى حياة الكمال فطلب ان يتفرَّغ للفكر في دعوتهِ فتحقَّق بعد الفحص المتوالي بانَّ دعوتهُ ان ينتظم في سلك الرهبانيَّة اليسوعيَّة . وفي اوان العطلة السنويَّة عرض الامر على والديهِ فلم تتعرَّض لهُ والدتهُ لِما كانت عليهِ من التُّقى امَّا والدهُ الذي كان يعوِّل عليهِ لضبط اشغالهِ من بعدهِ فاستنكر الامر وأبى ان يسمح لهُ قبل ان يقضي سنةً في البيت ليختبر دعوتهُ ويعرف ما في عزمهِ من الصدق والثبات . لكنَّ الشاب في تلك المدَّة بيَّن بكل سلوكهِ انَّ فكرهُ بالترهُّب راسخٌ في صميم قلبهِ لا يثنيهِ شيء عن ادراك غايتهِ . فخاف ابوهُ وهو من رجال الصلاح ان يقاوم ارادة الله ولم يكتفِ بان يمنحهُ بركتهُ بل اراد كابراهيم الخليل ان يقدِّم هو بنفسهِ ابنهُ محرقةً لعزَّتهِ تعالى فاتى بهِ في اوائل شهر تشرين الاوَّل سنة ١٨٧٩ دير غزير حيث كان فُتح حديثاً مقامٌ لطالبي الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة في سوريَّة

٢ الراهب

لبس ادوار ثوب المبتدئين في ٥ تشرين الاوَّل وباشر امتحانات الرهبانيَّة مدَّة سنتين فكان بغيرتهِ وحرصهِ على اتمام كلّ الفرائض الرهبانيَّة قدوةً لكل من يراهُ . واخذ منذ ذاك الحين يوطِّن نفسهُ على كلّ الفضائل الرسوليَّة فكان مرَّة في الاسبوع يتجوَّل في القرى المجاورة لغزير ليلقّن احداثها التعليم المسيحيّ ويُعدّهم للتوبة

الاوّل من جسد الربّ . فكان الصغار ينتظرون وصولَه بفروغ الصبر وهم أطوع لهُ من بنانهِ في كلّ ما يعرضهُ عليهم من اعمال التُّقى

وفي السنة ١٨٨١ ابرز نذور الرهبانيَّة الأُولى ثمَّ انكبّ مع رفاقهِ على الدروس البيانيَّة والبلاغة والخطب فتمرَّن عليها مدَّة سنتين واستقى من مواردها ما أهَّلهُ للخطابة فأصبح ذا عارضةٍ يفوهُ لسانهُ بما يطفح من قلبهِ ولا يبالي كثيراً بتزويق الكلام وترصيفهِ فيطلب اللبّ دون القشرة

ثمَّ نزل الى بيروت فتفرَّغ فيها لدرس الفلسفة والرياضيَّات والطبيعيَّات ثلث سنين (١٨٨٣—١٨٨٥) . وفي ختامها أُرسل الى مصر فعُهدت اليهِ في السنة ١٨٨٥—١٨٨٦ نظارة التلاميذ في الاسكندريَّة ثم في القاهرة مدَّة سنتين ١٨٨٧—١٨٨٨ مع تدريس العربيَّة . فلا يزال الشبَّان الذين تخرَّجوا عليهِ يذكرون ما وجدوهُ فيهِ من الرفق وطيب الشمائل الممتزجة بالحزم والتثبُّت بتنفيذ القانون . وكان يحبّب الى الشبيبة الآداب الاجتماعيَّة ويسعى في تقوية ابدانهم بضروب الرياضات البدنيَّة مشياً وركضاً وطفراً ليصدّقوا في اشخاصهم تحديد الرجل الكامل : « عقلٌ سليم في جسمٍ سليم » وكان جلّ اهتمامهِ ان يعزّز فيهم قوَّة الارادة ليناهضوا في قلوبهم الاهواء الباطلة ويثبتوا على الصلاح والتماس الغايات الشريفة

ولمَّا قرب أوان كهنوت الاب ميشال أُرسل في خريف سنة ١٨٨٨ الى بلاد الغال شمالي انكلترَّة في مدينة مُولد ليدرس هناك مع رهبان اقليمهِ الفرنسويين الملتجئين الى تلك الاصقاع بعد ان أقفل جول فرّي ديورهم في فرنسة فتفرَّغ للدروس الكهنوتيَّة من لاهوت نظري وادبيّ وحقّ كنسيّ وشرح الاسفار المقدَّسة ودرس العبرانيَّة وقضى في ذلك ثلث سنين نال في نهايتها نعمة الكهنوت من يد احد اساقفة الانكليز الكاثوليك الطيب الذكر السيد نَيت في ٨ ايلول سنة ١٨٩١ . وبهذا تمّ استعداد ذاك الجندي الباسل ليخدم الدين والوطن في هذه البلاد ويتاجر بالوزنات التي أعطيها من سيّدهِ

٣ رسول العَملة والصغار في بيروت

عاد الاب ادوار ميشال بعد كهنوتهِ الى بيروت وقلبهُ مضطرم بحب ذلك القائل

(لوقا ١٢ : ٤٩) : « اني جئت لألقي نارًا على الارض وماذا أريد الّا اضطرامها ». فهي النار التي كان مستعرًا بها الكاهن الجديد لخلاص القريب . وكأنّ الله اراد ان يقرّب اليهِ مبتغاه . فلما احتلّ كليريكيّنا البيروتيّة وجد فيها مرسلًا كان قضى خمساً وعشرين سنةً في خدمة العمّلة الفقراء نزيد بهِ الاب يوحنّا فيوروقيش الذي كان جمع شتات هؤلاء المساكين وانشأ لهم اخويّة تحت اسم الامّ الحزينة فكان يهتمّ بنفوسهم وصوالحهم الزمنيّة على قدر استطاعتهِ . الّا انّ ثقل الشيخوخة كان بهظ عاتقهُ فكان يطلب لهُ مساعدًا في عملهِ هذا المبرور من ربّ المساكين ومساعد البائسين فوجد في الاب ميشال ضالّتهُ المنشودة وهو في عزّ شبابهِ لا يطلب سوى تضحية نفسهِ في خدمة الفقراء والعمّلة . وسرّ الرؤساء في وجود رجل مثلهِ للقيام بهذا المشروع الجليل الذي تعدّهُ الرهبانيّة اليسوعيّة من افضل اعمال ابنائها . فلم يخيّب آمالهم وثبت على خدمة هؤلاء الوضعاء عشرين سنة لم يبتعد عنهم الّا مدّة قصيرة ليستعدّ لابراز نذورهِ الاخيرة تحت ادارة رجل قدّيس يُدعى الاب جنياك في مدينة كاستر من اعمال فرنسة (١٨٩٦)

﴿اخويّة الامّ الحزينة﴾ لا شيء يسند قلب العامل والفقير كروح الدين والتقى . فهذا ما حدا بالاب يوحنّا فيروقيش سنة ١٨٦٣ الى انشاء اخويّة دعا اليها العملة وجعلها تحت حماية امّ الاحزان لتكون العذراء مريم مثال الصبر على اتعابهم . وقد بأّمها بهتهِ القساء مبلغًا عظيماً حتى ناهز عدد المشتركين فيها الالفين . وقد مرّ لنا في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٣٢١—٣٣٥) ذكر اليوبيل الخمسيني لهذه الاخويّة مع خلاصة حياة منشئها واعمالها . فهذه الاخويّة عُني بها الاب ميشال اوّلًا كمساعد ثمّ كمرشد من السنة ١٨٩٤ الى ١٩١٢ فكان يتقفّى آثار سلفهِ في خدمة العمّلة والفقراء يتفانى في امورهم الروحيّة والجسديّة . فما كان يُرى الّا على منابر الارشاد او في كراسيّ الاعتراف او في عيادة مرضى اخويّتهِ . وكان في بعض فصول السنة يتفقّد السجون فيدعو المحبوسين الى ممارسة واجباتهم الدينيّة ويوزّع عليهم مع بعض رجال البرّ الصدقات والتذكارات التقويّة . وكان يطوف القرى المجاورة لبيروت ليبعث في القلوب الغيرة على خلاص النفوس وتهذيب الاولاد

وممّا ساعدهُ على تنمية الاخويّة وتعزيز شؤونها حفلات شائقة كان يقيمها في

بعض الاعياد السنويّة منها الطواف بالقربان في الاحد الواقع بعد عيد الجسد كان يتقاطر اليه اهل بيروت وضواحيها فيتمّ برونق عظيم . ومنها الرياضات السنويّة في اوّل الخريف وفي الاسبوع السابق لاحد الشعانين . ومنها اعتمام الاب بجوقة موسيقيّة تُسمع كل احد نغماتها في زياح القربان مع الاغاني التقوية التي كان يقوم بها بعض الشبّان فيطربون بها مسامع الحضور

﴿المدارس الخارجيّة﴾ كان الاب ميشال في اوّل سنة قدومه الى بيروت مستلماً نظارة فئة الكبار في كليّة القديس يوسف مع خدمته لاخويّة العملة . فاظهر في ادارة التلاميذ حذقاً كبيراً وكان اوّل من دعا الاولاد الى التمارين العسكريّة في ساحات المدرسة . فلم يتردّد الرؤساء في السنة المقبلة بأن يعهدوا اليه تدبير المدارس الخارجيّة اللاحقة بكليّتنا فجعل يصرف في ادارة هذه المدارس كلّ وقت فراغه من اشغال الاخويّة بل ربط العملَيْن الواحد بالآخر ليرشح صغار المدارس للدخول في الاخويّة عند نهاية دروسهم ليثبتوا على الآداب التي تلقّنوها في حداثة سنهم

ولم يدّخر الاب ميشال وسعهُ في نجاح هذه المدارس المتفرّقة في احياء بيروت وضواحيها وكان عددها ثلاثة فوسّع نطاقها وبلّغها الى ثماني مدارس في حي الدحداح ورأس بيروت والرميلة ورأس النبع والمنارة وفي قريتَي الشيّاح والحدث وفي فرن الشبّاك . فكان يزورها غير مرّة في الاسبوع ويختار لها المعلّمين الجديرين بنجاحها . ويدعو المدارس المختلفة الى السباقات بين بعضها ليبعث فيها روح المنافسة والغيرة وكان يهتمّ بتمرين الاولاد على الايماء والالقاء في روايات يمثّلونها امام جمهور الناس مع بعض شبّان الاخويّة . وقد استعان بحضرة الخوري يوحنّا طنّوس لتأليف تلك الروايات التي أحرز فيها الممثلون فخرًا عظيماً ولا يزالون حتى اليوم يكسبون باستحضارها ثناء كلّ الحضور

﴿جمعيّة شبّان مار لويس غونزاغا﴾ ثم لحظ الاب ميشال انّ كثيرين من الشبّان عند خروجهم من المدارس يصبحون هدفاً لتجارب عديدة تضعف بها عزائمهم فيسقطون في اشراك الاشرار . ففي السنة ١٨٩٧ رأى ان يؤلف منهم جمعيّة جعلها تحت شفاعة قدوة الشبّان القديس لويس غونزاغا وألحقها بأخويّة الامّ الحزينة ووضع لها قوانين مدبجة بروح الحكمة وجعل لها غرضين : مساعدة اعضائها على لزوم جادّة

العامل في كرم ربه

الاب ادوار ميشال اليسوعي

١٨٦٠ = ١٩٢٤

الصلاح بالسلوك الحسن وتثقيف عقولهم بالآداب ثمّ الاهتمام باولاد الصنائع المهملين. فقياماً بالغاية الاولى كان اعضاء الجمعيّة يجتمعون كلّ احد فيتفاوضون بالمباحث الدينيّة والادبيّة والفنّيّة تحت ادارة مرشدهم ويتمرّنون على الخطابة والتمثيل مع نجباء التلاميذ او يقيمون الحفلات العلنيّة يحضرها ذوو الوجاهة والكرم فيوزّعون ريعها على ابناء السبيل . وكان لهذه الجمعيّة عمدتها من كاهن مدير ورئيس ومعاونين ومستشارين وامين صندوق يجرون كلّهم بنظام واتفاق

امّا الغاية الثانية فادركها الاب ميشال بتأليف مشروع حماية اولاد الصنائع

﴿حماية الصَّنعة﴾ وجد الاب ميشال عدداً عديداً من صغار الفقراء ولاسيما اللبنانيين يتعاطون في بيروت الصنائع الدنيئة ويرتزقون بأعمال تزرية طفيفة ومعظمهم يجهلون القراءة والكتابة . ولا يعرفون من دينهم شيئاً فصرف كلّ مجهوده ليجتذبهم الى باحة الدار الواقعة في جوار كنيسة القديس يوسف ليروّحوا النفس بالالعاب ثمّ يحضروا التعليم المسيحيّ ليستعدّوا للمناولة الاولى ويتعلّم كبارهم مبادئ القراءة والحساب . فكان هؤلاء الاولاد من سائر طلبة الصنائع من سكّافين وحلّاقين وحدّادين وباعة جرائد . كان الاب ميشال يجتمع بمعلّميهم فيعلّمونهم الى حمايته

ومتى توفّق الى اكتساب ثقتهم صبّاغو الأحذية المتبثّون في شوارع البلد فضمّهم الى الصَّنعة واهتمّ بتهذيبهم وتعليمهم . وكان في حفلة مناولة هؤلاء الصغار الاولى يكسوهم ثياباً جديدة كما انّهُ مرّتين في السنة كان يسحب لهم قرعةً على القشة واجواخ وملابس وادوات شتى مفيدة يرنجها المثابرون على حضور الاجتماعات الاسبوعيّة

وكان شبّان جمعيّة مار لويس يراقبون هؤلاء الصنعة ويفرغون وسعهم في تربيتهم . وكذلك اعضاء اخويّات كنيسة القديس يوسف الداخليّون كانوا يصرفون زمناً معهم لترويضهم في الالعاب وتثقيف آدابهم وكان الاكليريكيّون منهم يلقّنونهم حقائق الدين

ومما يُذكر للاب ميشال فيُشكر به توجيهُهُ الحاظ جمعيّة الشبان لمقاومة الماسونيّة فكان يحرّضهم على الخطب والابحاث الدينيّة للدفاع عن العقائد المسيحيّة ومقاومة الروح الكفري وقد تكلّلت اعماله بالنجاح ودبّت الغيرة التقويّة في قلوب شبّان الجمعيّة فاصبحوا يستيتون في سبيل الدفاع عن الدين ولذلك تجمهروا في شهر آذار

سنة ١٩١١ ليلة حاول ابناء الارملة ان يمثلوا رواية اليهوديّ التائه وانضمّوا الى من حذوهم واوقفوا تمثيل الرواية محتجّين على الجوق الممثّل وعلى الحكومة التركيّة المؤذنة بالتمثيل . وقد استيق بعضهم الى السجن بامر الحكومة فلم يُحجموا عن الدفاع بل ازدادوا تحمّساً فاضطرّت السلطة الى اخلاء سبيلهم وعُدَّ عملهم ظفراً في جانب الدين والادب

﴿السجود الليليّ﴾ هذا السجود كان عُني باقامته الاب فيروفيش مع رئيس كليّتنا الاب جوليان هنري سنة ١٨٨٣ فيُعرض القربان الاقدس في كنيسة الكليّة ويسجد لهُ بالتناوب اربعون ساجداً في مساء ليلة الخميس الى الجمعة الاولى من الشهر تكفيراً عن الاهانات اللاحقة بقلب يسوع الاقدس . فاستلم الاب ميشال هذا المشروع الصالح وزادهُ نموًّا وكان هو يصرف جانباً من ليلهِ في مشاركة الساجدين واستماع اعترافاتهم . وكان يسعى طاقة جهدهِ في نشر عبادة قلب يسوع ويحرّض على التقرّب المتواتر من مائدة الخلاص

﴿ اعمال شتّى ﴾ وما كانت كل هذه الاعمال لتنفد همّة الاب ميشال فانّهُ لم يعاين مشروعاً صالحاً يسدُّ بهِ خللاً الّا تولّاهُ . فمن ذلك جمعيّتان وسمها باسم القديس فرنسيس كسفاريوس والقديس يوحنّا برخمنس انشأهما بين كبار التلامذة وافضلهم سلوكاً لينشر بواسطتهم بين الصغار روح التقوى ويُعدّهم بتعليم المبتدئين والمشروعات التقويّة والادبيّة لجهاد الحياة عند نهاية دروسهم

ومن منشآتهِ تخصيصهُ في كنيسة الشيّاح باذن كهنتها مذبحاً لاكرام رسول الهند القديس فرنسيس كسفاريوس جعلهُ مزاراً لتلك البلدة وكان يوم عيدهِ في ٣ ك ١ يقيم لهُ حفلةً كبيرة كان اهل البلدة يحضرونها بكل رغبة ويتقرّبون فيها للاسرار المقدّسة وقد بارك الله عبادتهم بان منحهم عدّة نِعَم على يد ذلك القديس سواء كان قبل الحرب ام في اثنائها

وكان آخر ما اهتمّ بانشائهِ مدرسة للصنائع خصّها بتعليم ابناء الفقراء الحرف المختلفة ليفتح لهم باباً للارتزاق ويصونهم من مفاسد الاسواق فاذارها بواسطة بعض المعلّمين مدّة اربع سنوات الى أن وجد لهُ الرؤساء خلفاً جديراً بمواصلة اعمالهِ وارسلوهُ الى مصر حيث كان اهلها في شديد الحاجة الى مثلهِ

٥ الاب ميشال في مصر

وفي السنة الاولى من وصوله الى وادي النيل سنة ١٩١٢ أُرسل الى ديرنا في المنيا كخلَف للمرحوم الاب حبيب الموشي في الاشغال الرسولية. فنيطت به الرياضات للكهنة والمواعظ الاسبوعيَّة وتوزيع الاسرار وتدبير جماعة الشبَّان التي جعلها على مثال جماعته البيروتيَّة. وكان يزور مدارس الصعيد ويلقي الارشادات في كنائس القرى ويجتمع بالاقباط المنفصلين ليرشدهم الى حقائق الدين الكاثوليكي فردَّ عدداً منهم الى ايمان رسولهم القديس مرقس وكثير ممَّن القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندريّ العظيم

وبعد تلك السنة استدعاهُ رئيس مدرستنا في القاهرة ليدير فيها الاخويَّات والمشروعات الخيريَّة التي كان الطيّب الذكر الاب جبرائيل ادّه ادارها بكل غيرة ودراية. فتسلَّمها بكل فرح وباشرها بما عُهد فيه من النشاط والتفاني

فمن لنا ان نصف ما قام به من الاعمال الجليلة في العشر السنوات التي قضاها في عاصمة المصريين. فكان يقوم باكرًا بعد ست ساعات فقط من النوم فيُسرع الى اتمام كلّ واجباته الرهبانيَّة والكهنوتيَّة حتى اذا انجزها يتفرَّغ الى اشغاله المتعدّدة فكان متولّياً تدبير ثلث اخويَّات للرجال والنساء والفتيات فيعظ مرارًا في الاسبوع ويجلس الساعات الطوال في كرسيّ التوبة ويشرح التعليم المسيحيّ لخدَمة الدير. وكان بقيَّة نهاره يقضيه في عيادة المرضى وزيارة الفقراء والمتعثّرين فيوزّع عليهم ما حصلت يدهُ من الاحسانات والصدقات فلا يكاد يجد ساعةً للراحة. وقد ثبت على خطَّته هذه الى آخر حياته مع ما كان يجد في مسيره في شوارع القاهرة من التعب والضنك ولاسيما بعد ضعف مزاجه وثقل السنين والاشغال على كاهله فكان مهما شعر به من المشقَّة لا يتأخر عن طلبة محتاج الى خدمته او مريض يطلب اسعافهُ ولو في ساعات الليل

وكان الرؤساء في اوان الصيف يعرضون على الاب ميشال ان يأخذ نصيباً من الراحة ويهرب من لفحات الحرّ الخانق الى السواحل او الى لبنان فكان يجيب: وكيف أُهمل كلّ هؤلاء المساكين دون اسعاف روحي وجسديّ. فكانت نتيجة تلك الاشغال المفرطة أن أُصيب في العشر الاخير من آب الماضي بوعكة ثقيلة لم تمهلهُ الّا

بضعة أيام فعرف انَّ اجلَهُ قد قرب فـاقتبل الاسرار المقـدّسة بكل ورع وتُقى واستعدَّ لمواجهة ربّ العملة الذي فلح كرمَهُ بكل حرص ولم يبالِ بما حمل من ثقـل النهار وحرّه (متى ٢٠ : ١٢) فودَّع الحياة وهو واثق بجود الاله الـذي خدمهُ مدَّة نيّف واربعين سنةً. ولا شكّ في انَّ ربَّهُ الكريم اجزل ثوابهُ في دار الخلود

ولم يكتفِ الذين خدمهم الاب ميشال بالاسف على فقده وانّمـا ارادوا ايضاً ان يعقدوا لهُ جلسةً تأبينيَّة في بيروت ومصر ردَّدوا في اثنائها محامد ذلـك الرجل الهمام وعظَّموا المصاب بموته شاكرين لهُ مآثرهُ الجمَّة وحسناته المتعدّدة. وقـد حضرنا الحفلة التي اقامتها جمعيَّة شبّان مار لويس غونزاغـا بناديها في مُمثَّل مدرسة الـدحداح رأسها حضرة الاب ديد رئيس الرسالة اليسوعيَّـة في سوريَّة وخلَفُ الاب ميشال في ادارة اشغاله بعد سفره الى مصر فوفوا الفقيد حقَّهُ من الثناء نثرًا ونظماً. وكذلـك وقفنا على الخطب التي فاه بها اصحاب الجلسة المصريَّة فوجدناها كلّها تُشعر بما اختبروه من سجايا الاب المرحوم وتأثير وفاتهِ في قلوبهم فلن ينسوا. فضلهُ عليهم ظالما امدَّ الله في أجلهم. وها نحن نقتطف من جلستي بيروت ومصر بعض ما جادت بهِ قريحة اثنين من اعضائها ولولا ضيق المقام لنشرنا كلّ خطبهم فنستميح منهم عذرًا لضربنا الصفح عنها

قال الاستاذ الاديب يوسف افنـدي الغلبوني يرثيهِ بقصيـدة عامرة الابيات افتتحها بقولهِ :

ادوارُ ميشالُ نمْ في القبر مختارا ... رقّـاك ربُّك بعـد الفوز أخـدارا
نمْ في الخلود فقـد خلَّدتَ مُنجهًا ... غير المهيمنِ بالأعمـال آثـارا
بيروت تبكي وفي مصر صدى اسفٍ ... يُجري مع النيلِ دمعَ العين مـدرارا
ادوارُ ميشال لن ننساك طول مدًى ... وان نسينا نكُنْ بالفضـل كُفَّارا
قد كُنتَ قلباً لصدْرٍ يرتجي فرَجاً ... وكنت عرنًا لدى الضيقات نصَّارا

وختمها بقولهِ :

حيُّوا الفقيد بإخبـاتٍ وتكرمةٍ ... حيُّوا رئيسكمُ المحبوبَ إدْوارا

وقال جناب يوسف افندي راجي سكرتير اخويَّة الحبل بلا دنس بمدرسة الآباء اليسوعيين في مصر :

« سادتي واخواني الاعزّاء : اليوم اقفُ خاشع الرأس امـام جلال الموت ، اندبُ تلـك الهمَّة العالية وقد ذبلت ، وذاك الصوت العالي وقد صمت ،

« لقد جاء في النذير بالخطب ، فأتيتُ مسرعًا لأودّعهُ الوداع الاخير بانم يدي الطاهرة التي طالما باركتني وباركتكم ، واشارت الى الطريق القويم أن : اتبعوهُ فهدَتني وهدتكم ، ثمّ عاودتني ذكرى ثلاث عشرة سنة متوالية ، لازمتهُ في خلالها ، فما رأيتهُ يومًا تطرّق اليهِ الملل ، او شكا من كثرة العمل ، بل لا اكون مغاليًا ان قلتُ بأن الفقيد لم يبالِ بجسدهِ بل اضحّاهُ في سبيل الله ومرضاتهِ قبل ان عاجلهُ الموت ،

« أجل أضحّاهُ وامانهُ في سبيل نشر تعاليم السيّد المسيح الحقّة ، امانهُ في سبيل إحياء الاخويّات ، والجمعيّات ، والمحفلات الدينيّة العديدة ، وفي سبيل البرّ والاحسان . فصدقت فيهِ تلك الكلمة الخالدة . مات في الجسد ليحيا في الروح ، انّ الارواح الصالحة لا تموت

بدأ الفقيد حياتهُ بيننا ، يواصل الليل بالنهار ، لإحياء الاخويّات التي اخذ على عاتقهِ ارشاد ابنائها ، فهي وان كانت زاهيةً بفضل من تقدّموهُ لكن الجهاد الذي جاهدهُ انمى فروعها فازدهت ورواها بعرق جبينهِ فنمت ، فما كان عجبًا ما رأيناهُ يوم شهدهِ اذ هرع المئات يشيّعونهُ بقلوبهم ودموعهم وزفراتهم . . .

« رأيت النساء والشيوخ يبكونهُ بكاء الاطفال ، رأيتُ النساء والفتيات يذرفن عليهِ الدموع كأنهنّ فقدنَ عزيزًا لديهنّ ، هل أعزّ من هذا الراحل الكريم على قلوبنا ، جنديّ من جنود الكنيسة فقدناهُ بعد ان استبسلَ في الدفاع عنها خمسةً واربعين عامًا ، فوجب علينا رثاؤهُ ، كما حقّ علينا بالامس بكاؤهُ . . .

« ثمّ عدنا في بقعة قدسها المسيح بزيارتهِ والعذراء بطهارتها والقديس يوسف بزيارتهِ . (يريد مغارة بيت لحم) ، ثمّ عدنا مستريحًا ، انت احسنتَ في الحياة الينا ، احسَن الله في الممات اليك ،

ليلة الميلاد الاولى

عرّبها بتصرّف حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليّتنا

في تلك الايام صدر امرٌ من الامبراطور أوغسطس قيصر باحصاء جميع رعاياه . فانطلق الجميع كلٌّ واحد الى مدينتهِ

وتعيّن ضابطان لمراقبة الاحصاء ، في بيت لحم وللسهر على حفظ الأمن . احدهما يدعى تُرْكُواتس ، من مذهب أبيقور المعروف باتّباع الشهوات ، وعمرهُ نحو خمسين سنة . والآخر يُستى أكتاڤيوس ، وعمرهُ نحو ثلاثين سنة . وكان هذا جليل المنظر ،